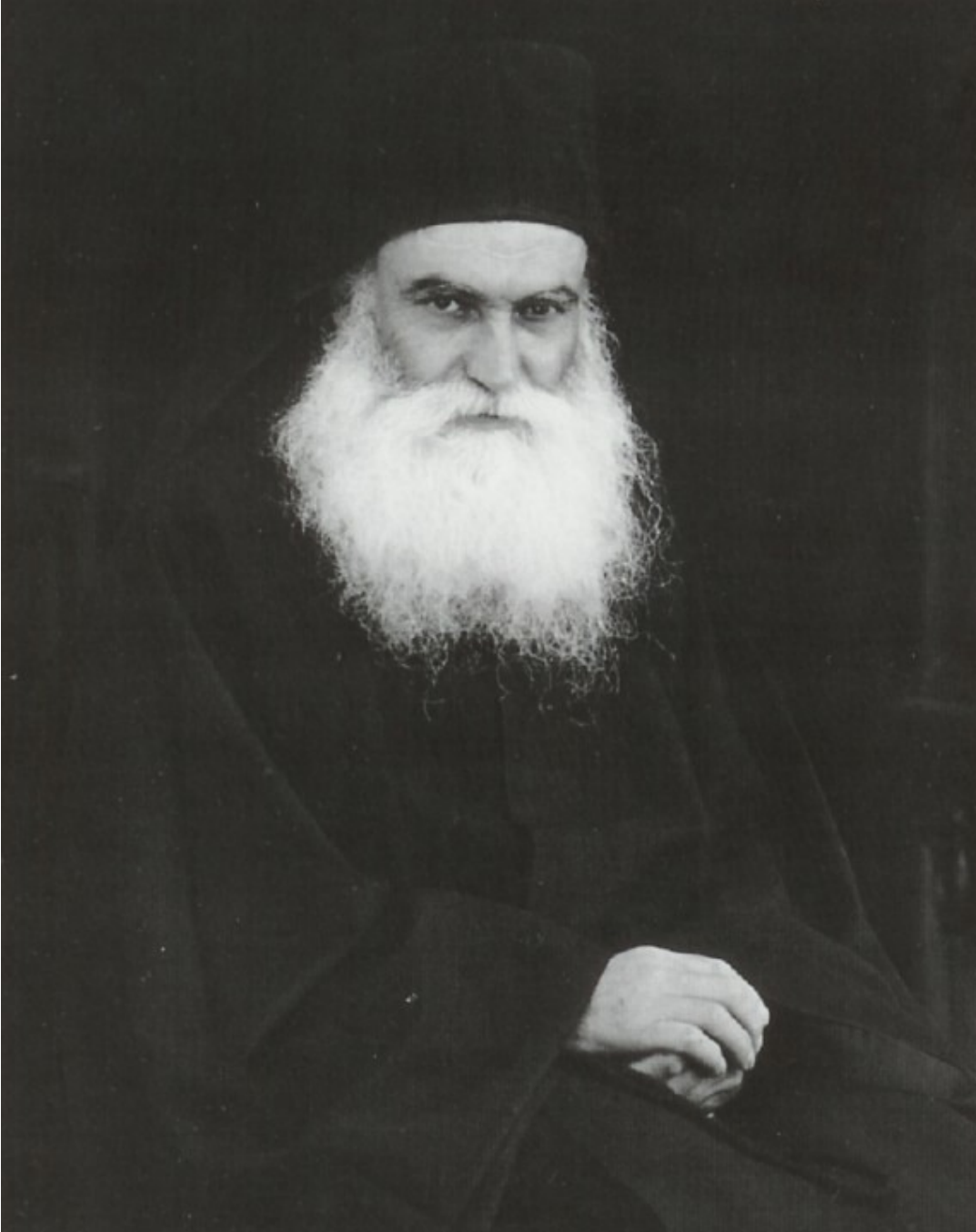


الجزء الأول

سيرة الشيخ أفرام الكاتونكي

نقلته إلى العربية
أ.ماريّا الياس قباره



أ- النسب وسنوّ الشباب

"كان أهلي فقراء"، بدأ الشيخ حديثه بأسى، " وأيضاً فلاحين فقراء". كان يمتلك أبي بعض الحقول الصغيرة، يبذرها مرة واحدة في السنة، فماذا كانت ستكفي؟! أحياناً كثيرة لم يكن يجني أكثر من البذار. يتعب كثيراً لكي يؤمّن لنا التعليم، "نونداس (اسم أخي) وأنا"، لننهي دراستنا الثانوية. وعندما ذهبت إلى الجبل المقدس كان مديوناً وواقعاً في صعوباتٍ كبيرة"

كان أهل الشيخ يعيشون في (أمبيلوخوري ثيفا) عندما وُلد في يوم عيد القديس نيقولاوس، السادس من كانون الأول ١٩١٢. كانت أسرته كهنوتية جلييلة، مؤلفة من الجدّ الوقور الصارم "بابا نيكيتياس" كاهن البلدة، والجدّة الخورية ويوحنا والد الشيخ وفكتوريا أمّه مع أبنائهما: إيامينوندا، إيفانجيلوس (الاسم العلماني للشيخ)، إيلين وخرالمبوس

وُلد الشيخ في فترة حروب البلقان. كان والده مشاركاً في تحرير مدينة تسالونيكى تحت إمرة وليّ العهد قسطنطين وكان يتغيّب كثيراً عن المنزل. وقتئذٍ كانت أمّه فيكتوريا حاملاً بالأب أفرام، كانت تتعدّب لبساطة قلبها من "الشكوك التي كانت تراودها": فهي وسط أقارب لم يقبلوها فيما زوجها في الحرب بعيداً دون أن تعرف إن كان سيعود أم لا. كان ابنها إيامينوندا في حضنها لمدة سنتين، كانت تفكر: "مالي ولهذا الطفل؟" ولم تهتمّ للجنين كما يجب

وعندما علمت السيدة فيكتوريا الصالحة فيما بعد بتقدّمه الروحيّ في الجبل المقدس، كانت تبكي وتردّد قائلة: "أنا الغيبية أردت أن يموت هذا الصبي، بينما هو سيخلصني بصلواته وأسلوب حياته". وكانت تتضرع إلى الله بصلوات ابنها أن يسامحها ويؤهلها هي أيضاً للاسكيم الملائكي الرهباني

عاش الشيخ سنّي طفولته في أمبيلوخوري. لكنّ أهله غادروا القرية عندما كان في الصف الأول الابتدائي واستقروا في ثيفا، رغبة منهم في تحسين ظروف دراسة أولادهم

أنهى إيفانجيلوس مرحلة الدراسة الإعدادية سنة ١٩٣٠. كان تلميذاً مجتهداً، وشاباً طاهراً مستقيماً، مطيعاً لوالديه وصابراً جلوداً في الصعوبات. ولكونه تعلم المواظبة على الخدم الكنسية في كنيسة السيّدة قرب منزله استطاع أن يقيم علاقة جيدة مع رهبان وراهبات كانوا أصلاً من ثيفا، وذلك في وقت مبكر من عمره. وفي تلك الأثناء تعرّف على شيوخه المستقبلين، الشيخ أفرام والأب نيكيفوروس الثيفيين اللذين كانا يفكران بخليفتهما

تعلم الشيخ أن يعترف من عمق قلبه، وأن يتممّ قانون الصلاة الذي وضعه له أبوه الروحي من مطانيات ومسابع ومطالعة الكتب الروحية. يروي خرمبوس؛ أخوه الأصغر بعشر سنوات (وهو الآن ضابط متقاعد في الجيش) أنه كثيراً ما كان يستيقظ ليلاً على صوت ضربات إيفانجيلوس على الأرض وهو يعمل المطانيات (السجّات). أمّا ذلك فكان يهدّي من روع الصغير الذي كان ينهض منزعجاً قائلاً له: "ياعزيزي ليامي، في نصف الليل تكون السماوات مفتوحة"

حدث مرة وحينها كان تلميذاً في الثانوية، وهو في طريقه إلى المدرسة إلى امتحان مادة الرياضيات. ولأمر ما كان قد أزعج أمّه وغادر من دون دعائها له. حلّ التمرين المطلوب كما يجب لكنه وجد النتيجة ٤/١٢، فسأل رفاقه التلاميذ همساً وقالوا له أنّ النتيجة كانت ٣/. حاول أن يجد الخطأ فلم يستطع. وأخيراً سلّم ورقته بمرارة. عند خروجه إلى ساحة المدرسة أدرك كم كان خطؤه صغيراً، فهو لم يبسط القسمة، واعتبر أنّ ذلك لأنّ أمّه لم تدع له. كان يروي هذه الحادثة مراراً، مشدداً على أهمية بركة الوالدين لأبنائهم ودعائهم لهم

كان الجو العام في الأسرة مساعداً لنمو إيفانجيلوس الروحي. والده ذا طبع حازم، صارماً، أميناً، عاملاً نشيطاً، ربّ منزل صالحاً، إنساناً يسرع إلى مساعدة قريبه عندما يكون في حاجة إليه. كان عصيباً حادّ الطبع

ويهابه أبناؤه. لكنّه في الوقت عينه مستقيمٌ، وبسيط وطيبٌ، ويشيّع جواً من الثقة والأمان حوله. على الرغم من أنّه كان مرتلاً في جوقة اليسار لكنّه لم يحلو تردد إيفانجيلوس إلى الأديرة. ومع هذا، فقد استحق في أواخر حياته أن يصير هو أيضاً راهباً في "كاتوناكيا" بالقرب من ابنه

اتصفت الأم أيضاً بأنها ذات قلب غنيّ بالطيبة، ممتلئ محبة وأحاسيس صالحة رقيقة تشمل أولادها وكلّ العالم. كانت ممثلة صبراً وطول أناة. استطاعت أن تعيش مع الجدّ بابانيكيتاس، عمّها، للاعتناء به في شيخوخته. هي الوحيدة التي نالت بركته ودعاءه من بين كثيرين من الأقارب الذين كانوا بجواره حول سرير موته. كان قد أصابه شلل نصفي فدعاها إلى قربه إيماءً - لأنه لم يكن قادراً على الكلام- شدّ على يدها وأشار بيده المرتعشة إلى السماء. لم يدع لها بهذا الشكل لسنوات طويلة، لقد نالت بركاته لمرة واحدة لكن بعمق وصدق كانت كثيرة الإحسان، كريمة على الدوام. يأتيها الناس مراراً وتكراراً طالبين المساعدة. مرّةً، أخذ الوالد، يوحنا، أحد المستعطين على انفراد وقال له: "أيها المبارك، البارحة كنت هنا، هيّا، هلمّ وغادر"، أمّا فيكتوريا فرافقته وقالت له: "حسناً ما قاله لك السيد يوحنا" وفي الوقت ذاته وضعت خفية شيئاً في يده. كانت تتضرع إلى العذراء دوماً وكان أحفادها يسمعونها تُنمّتم همساً. ومرّةً تنصّتوا عليها فسمعوها تقول: "أيّتها الفاتنة القداسة الطيبة، إني امرأة خاطئة، فإن شئت؛ أتضرّع إليك، أن تجعليني راهبة". وبالفعل أهلتها العذراء للاسكيم الملاكي فبيل رقادها

بكلّ هذه الموروثات الروحية والزوادة الثقافية أخذ إيفانجيلوس بعد الدراسة الثانوية، يرتب حياته. إلا أنه لاقى عوائق وصعوبات جمة. أدى امتحاناً ليصير ساعي بريد. كان بحاجة لواسطة من شخص ذي نفوذ، لكن لم تتوفر الوساطة له فلم ينجح. كتب ملاحظة معبرة خلف إحدى صوره أرسلها في ذلك الحين إلى أخيه الأكبر "مرشّح لمدرسة البريد والهاتف، إيفانجيلوس يوحنا بابانيكيتاس. العمر ١٨ سنة. مرارات، عذابات، ضيقات، رسوب في فحص القبول. ٣٠/١٠/٢٥". فيما بعد حاول أن ينضمّ إلى شرطة البلدية، فقالوا له أنه في تلك السنة لم ولن يقبلوا أحداً. أخيراً استعدّ وقدم امتحاناً في معهد إيكارون، وبعد الفحوص الطبية كتب الأطباء على بطاقته: "تسرّع في القلب. غير مناسب"

كان يرى أصدقاءه وزملاءه في الثانوية يتقدّمون وهو قابع في مكانه. توقّرت له أعمال مؤقتة، إلا أنه أخذ يشعر بنفسه عبئاً على عائلته. قرّر أخيراً أن يخدم في الجيش ليتّم على الأقل هذا الواجب الإلزامي. إلا أنه هناك أيضاً لم يكن مقبولاً. التقرّحات الناتجة عن الحساسية كانت ظاهرة على قدمه، مما أجبر الأطباء العسكريين على أن يعطوه تأجيلاً سنوياً. كان تشخيصهم: "تقرّح مرضي مؤقت، يشفى مع الزمن". هكذا اقتنع بأن الله يرشده إلى طريق الجبل المقدس آثوس. رأت فيكتوريا الطيبة في حلمها شيخاً صغيراً وقوراً يقول لها: "هنا حيث سيذهب ابنك، سينجح"

وبالفعل، في ١٤ أيلول ١٩٣٣، عيد إيفانجيلوس بابانيكيتاس عيد الصليب في بريّة كاتوناكيا في الجبل المقدس



(الملاحظة التي كتبها خلف هذه الصورة والتي أرسلها في ذلك الحين إلى أخيه الأكبر: "مرشح لمدرسة البريد والهاتف، إيفانجيلوس يوحنا بابانيكيتياس. العمر ١٨ سنة. مرارات، عذابات، ضيقات، رسوب في فحص القبول.
٣٠/١٠/٢٥")